المقاومة الأهلية في سوريا ضد الانتداب الفرنسي
(الثورة السورية الكبرى 1925 – 1957 أنموذجًا)

رمضان احمد العمر *

مدخل

بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى عام 1918، وصلت قوات الثورة العربية دمشق، وأقامت حكومة عربية فيها، حيث شارك أهالي سورية في الثورة العربية من جنود وضباط وموظفين[1]، وواجهت الحكومة العربية الكثير من الصعوبات ومنها موقف الحلفاء الذي استنكر قيام الحكومة العربية في دمشق، ورفضوا إجراءاتها الإدارية. أمر الجنرال اللنبي تقسيم بلاد الشام إلى ثلاث مناطق عسكرية، وهي: المنطقة الجنوبية وتشمل متصرفية القدس المستقلة، ولواء عكا ونابلس وأقضيتها وهي تحت الإدارة البريطانية، والمنطقة الشمالية وتشمل جبل لبنان وكل المنطقة الساحلية من عكا حتى اسكندرون وهي تحت الإدارة الفرنسية، والمنطقة الشرقية التي وضعت تحت الإدارة العربية، وتشمل شرقي الأردن ودمشق وحمص وحماة وحلب[2]، وهذه التقسيمات تتوافق مع اتفاقية "سايكس بيكو" الذي يضمن مصالح كل من فرنسة وبريطانية[3].

وعقد في 18 كانون الثاني1919 مؤتمر الصلح، وألقى فيصل خطابًا تحدث فيه عن دور العرب في محاربة العثمانيين وتضحياتهم لتحقيق النصر، وطالب باستقلال وبحرية البلاد العربية، وبوحدتها مستندًا إلى الروابط القومية التي توجد بينهما، كذلك ندد باتفاقية "سايكس بيكو"، وأشار إلى مبادئ "ولسن" ولا سيما حق الشعوب بتقرير مصيرها وخلال خطابه، اقترح إرسال لجنة تزور بلاد الشام للوقوف عند متطلبات ورغبات السكان[4]. واجتمع المؤتمر السوري العام في 3 حزيران 1919، وقدم مطالب الشعب التي تطالب بالاستقلال والحرية، ووصلت لجنة "كنغ كراين" في يوم الأربعاء 10 حزيران 1919، لتعرف رغبات البلاد العربية[5].

بتاريخ 26 نيسان 1920، عقد مؤتمر "سان ريمو" لفرض الانتداب على سورية، وفي شهر تموز 1920 وجه "غورو" الإنذار للحكومة العربية، وطلب تسليم خط سكة حديد رياق – حلب، وقبول الانتداب الفرنسي، والأوراق النقدية الفرنسية، والغاية من هذا الإنذار هو تصفية الحركة الوطنية العربية والقضاء على النضال الوطني[6]، وبتاريخ 24 تموز 1920 وقعت معركة ميسلون، واحتل الجيش الفرنسي في اليوم التالي دمشق[7].

- أولًا- أسباب اندلاع الثورة السورية الكبرى 1925 – 1927

من أسباب الثورة السورية الكبرى فرض الانتداب الفرنسي بالقوة على سورية وتقسيم سورية إلى دويلات[8]، أيضًا من أسباب

الثورة رفض الشعب السوري للانتداب وحدوث عدة ثورات ضده ومنها، ثورة الشيخ صالح العلي التي انطلقت أواخر عام 1918 في المنطقة الساحلية[9]، وتذكر إحدى وثائق وزارة الخارجية الفرنسية أن هذه الثورة تم الاستعداد لها من أجل إخمادها[10]، وفي نيسان 1919 انطلقت ثورة إبراهيم هنانو في الشمال السوري[11]، وذكرت هذه الثورة في وثائق وزارة الخارجية الفرنسية في حزيران 1919[12]. وكذلك حدثت ثورات داخلية بين عامي 1920 – 1925 ومنها ثورة حوران والقنيطرة واضطرابات دمشق وحمص وحماه[13]. بالإضافة إلى أسباب اقتصادية حيث أحكمت السلطات الفرنسية قبضتها على خيرات البلاد من زراعة وصناعة ومعابر بحرية وبرية والخطوط الحديدية والبنوك وغيرها[14].

- ثانيًا- المراحل التي مرت بها الثورة السورية الكبرى 1925 – 1927

تعدّ الثورة العربية، أكبر ثورة شعبية وطنية نشبت في القرن العشرين ضد الانتداب الفرنسي[15]، يمكننا تقسيم الثورة السورية الكبرى إلى مرحلتين وهما:

- مرحلة الانتصار والتوسع في عامي 1925 – 1926

كانت فرنسا قد اعتقلت أدهم خنجر العاملي في تاريخ 17 تموز 1922، أثناء زيارته لسلطان باشا الأطرش واتهمته السلطات الفرنسية بمحاولة اغتيال غورو[16]، ذهب وفد من زعماء جبل الدروز وشيوخه في شهر نيسان 1925، لمقابلة المفوض السامي "سراي"، مؤكدين أن الجبل جزء لا يتجزأ من البلاد السورية مع المطالبة بتعيين حاكم للجبل من أبنائه[17]، وأن يطبق الانتداب على الجبل طبقًا للشروط المتفق عليها بين أهالي الجبل وبين فرنسا والمصدقة من قبل الجنرال غورو، وأن تفتح أبواب المفوضية لسماع شكوى المواطنين من تصرفات بعض الموظفين الذين يخرجون بتصرفاتهم عن طريق العدل والإنصاف، وإزالة كل اعتداء يعتديه الكابتن كاربيه على الزعماء وإبداله بحكم وطني حسبما هو مصرح في الاتفاق وإنشاء تفاهم بين الشعب الدرزي وفرنسا، فرفض المفوض السامي "سراي" هذه المطالب[18]، ونتيجة لذلك تم عقد أول اجتماع تمهيدي في بيت القاسم الهيماني صاحب جريدة الفيحاء في أوائل أيار 1925، حضره الأمير حمد الأطرش ودار فيه الحديث حول إشعال نار الثورة ثم أعقبه اجتماعات أخرى[19]، وفي 18 تموز أطلق رجال سلطان باشا الأطرش[20] قائد الثورة السورية الكبرى النار على طائرة فرنسية، وقاموا باحتلال منطقة صلخد[21]، وفي يوم 22 تموز 1925 تصدّى الرجال بقيادة سلطان باشا الأطرش لحملة نورمان في قرية الكفر، حيث انقسم الثوار قسمين وأخفوا من جهتين متقابلتين، وحدث اشتباك بالسلاح الأبيض حتى قضوا على الحملة قضاء مبرحًا، ولم يفلت منها إلا القليل الذين نقلوا خبر الكارثة إلى "تومى مارتان"، وقتل ما يقارب 260 من جنود وضباط فرنسيين، واستشهد 40 من الثوار ومن بينهم مصطفى بك الأطرش شقيق سلطان

باشا وإسماعيل بك الأطرش نجل جاد الله بك[22].

- معركة المزرعة وحملة الجنرال ميشو في أوائل آب 1925

جهزت فرنسا حملة كبيرة بقيادة الجنرال "ميشو" يبلغ عددها زهاء ثمانية آلاف مع خيلها عدا الفرقة الحورانية التي انضمت إليها في ازرع، وكان جهازها وعتادها وآلاتها ومدافعها الضخمة ومصفحاتها جميعها على الطراز الحديث، وسارت هذه الحملة بطريقها بشوارع دمشق تجرّ البغال المدافع ذات العيار الكبير وتقل "الكاميونات" المعدات وبعض المدافع الصغيرة[23].

ويقول الدكتور عبد الرحمن الشهبندر "شرّقت هذه الحملة من ازرع في صباح اليوم الأول من آب عام 1925، فعلق معها الدروز في حرب، وكان عددهم يقارب الثلاثة آلاف فرأوا أن لا قبل لهم بمصارعتها للوهم الذي استولى عليهم مما رأوه بأعينهم من نارها وسمعوه بآذانهم من أفواه الجواسيس عن عددها"، ونزلت الحملة على ماء يدعى ماء المزرعة بالقرب من السجن والمجدل، وقام ثلة من الأبطال الذين لا يبلغ عددهم 200 بمهاجمة مؤخرة الحملة الفرنسية، وغنموا الذخائر والطنابر المحملة على ظهور البغال. ومع المساء كان العتاد في قبضة الثوار[24]، وكان مصير هذه الحملة كمصير حملة نورمان[25]، باد الجيش ولم يسلم منه إلا القليل من فلول تبلغ زهاء ألف ومائتين لم يصلوا إلى السكك الحديدية في قرية أزرع إلا بشق الأنفس[26].

وفي تاريخ 8 آب 1925، وضع الدروز الشروط الأولى في الثعله[27] وهي:

- يجب حضور الأمير فؤاد أرسلان والكابتن رينو مع عبد الله النجار لمقابلة سلطان باشا الأطرش.
- يجب أن تنتهي المفاوضة في ظرف ثلاثة أيام.
- وجوب إحضار الأمير حمد وسائر المعتقلين إلى جبل الدروز قبل المفاوضة.
- مقابل تسليم المعتقلين تسليم الأسرى والغرباء الذين في القلعة.
- منع ضرب الطائرات ومدافع القلعة وإلا تهاجم.
- بعد حضور المفوض السامي يتفق على الشروط.

لقد رفض الجنرال السامي "ساريل" قبول حضور الأمير فؤاد أرسلان للجبل بحجة أنه يثير الحركة في الجبل، وفي 12 آب 1925، وصل رين إلى قرية عرى وحدثت مظاهرة سلمية بسبب عدم حضور الأمير حمد، وحدد الدروز شروطهم لرينو والتي أوصلها عبد الغفار باشا الأطرش ومحمد عز الدين الحلبي وهي[28]:

- قبل الدخول في المفاوضة يصدر العفو العام.
- اطلاق المعتقلين بسبب حادثة الملازم موريل
- الكف عن التدمير بالطائرات.

وبالمقابل طلب رينو ما يلي:

- إعادة الأسرى من الجيش الفرنسي.
- السماح بدفن القتلى الفرنسيين الذين سقطوا في معركة الكفر ومعركة المزرعة.

- الكف عن الحركات العدائية قبل إطلاق الرصاص على الطائرات ومهاجمة القلعة بالسويداء.

وفي 14 آب وصل 53 شابًا من المعتقلين إلى قرية أم ولد ومبادلتهم بالأسرى، وفي اليوم الثاني عقد مؤتمر المجمير وتألف الوفد من سليمان عبده الأطرش وهايل عامر وفضل الله هندي ومحمد عز الدين الحلبي وسليمان نصار، وحددت مطالب الفرنسيين كالتالي[29]:

- إعادة العتاد المسلوب في الحرب.
- إعادة حامية السويداء إلى ما كانت عليه قبل الثورة.
- إعادة منهوبات التجار والأهالي بواسطة لجنة مختلطة تدرس ذلك.
- دفع غرامة حربية قدرها خمسة آلاف ليرة فرنسية.

كذلك وضع الدروز مطالبهم وهي[30]:

- العفو العام مصدقًا عليه من الجمهورية الفرنسية وعدم التحقيق في حوادث الثورة ورفع المسؤولية عن الجميع.
- إطلاق سراح المعتقلين بسبب الثورة ان كانوا من الجبل أو خارجه.
- نقبل مستشار إداري في الجبل دون التدخل الفعلي في شؤونه والدروز يطالبون بان يكون رينو ذلك المستشار.
- ينتخب الشعب الدرزي لجنة تشكل حكومة للجبل تقوم مقام الحكومة الملغاة بسبب الثورة.
- ينتخب حاكم وطني ومجلس أعيان تقرر كيفية تأليفه ودرجة ارتباط الحاكم به اللجنة المذكورة.
- تعاد المبالغ الخاصة بصندوق الجبل والمبالغ المودعة بالبنك السوري أو غيره إلى دائرة مالية الجبل.
- تدفع حصة الجبل من الجمارك لخزينة الجبل ولا يصرف منها شي قبل دخولها الصندوق.
- لا تمنع فرنسا الدروز من الدخول إلى الوحدة السورية إذا شاءت ذلك فيما بعد.
- عدم نزع السلام من الدروز كما قررت فرنسا قبل بسبب مجاورتهم البادية.
- عدم تعين أحد الموظفين السابقين إلا بقرار من اللجنة.

عاد رينو إلى ازرع ومعه جواب الشروط بالقبول ما عدا ما يتضمنه البند الأول من شروط الفرنسيين، وتنكر الفرنسيون لمطالب الدروز ونفى رينو علمه بنوايا الفرنسيين وموقفها المعادي للثورة وتم إلقاء مناشير معادية للثورة بواسطة الطائرات الفرنسية[31]، وأذاع سلطان باشا الأطرش بلاغا في يوم 23 آب 1925، دعا فيه السوريين إلى تقلد السلاح وقال: إن حربنا اليوم حرب مقدسة وأما مطالبنا فهذه هي[32]:

- وحدة البلاد السورية ساحلها وداخليها والاعتراف بدولة سورية عربية واحدة مستقلة استقلالًا تامًا.
- قيام حكومة شعبية واجتماع المجلس التأسيسي لوضع قانون أساسي على مبدأ سيادة الأمة سيادة مطلقة.
- سحب القوى المحتلة من البلاد السورية
- تأييد مبدأ الثورة الفرنسية وحقوق الإنسان في الحرية والمساواة والإخاء.

وفي النهاية قال: "إلى السلاح والله معنا، والإنسانية معنا، ولتحيا سورية حرة مستقلة[33]".

اجتمع سلطان باشا الأطرش مع الدكتور عبد الرحمن الشهبندر في قرية كفر اللحى في أواخر آب 1925، وكان معه نزيه بك المؤيد وسعد الدين بك المؤيد وحسن بك تحسين وكان نسيب بك البكري ويحيى بك حياتي قد وصلوا إلى قرية عرى، وفي كفر اللحى هذه جاء دروز الإقليم فاظهروا تحفزهم للحرب وارتباطهم بالثورة وأخذوا يضعون الخطة للهجوم على دمشق، بقيادة القائد الحربي يحيى حياتي فارتأى حشد 500 فارس تنقسم إلى خمسة أقسام كل مئة لوحدها فيدخل دمشق من نواح متعددة، غير انه لم يكن ليجتمع لدى السلطان ذلك العدد المطلوب، وانضم للثوار من الجبل حسن الخراط وسرحان أبو تركي الديري الباسل والشيخ محمد حجار وحسن الحكيم وسعيد حيدر وغيرهم، وبينما كان الأبطال يفكرون بمهاجمة دمشق كان الجنرال غاملان يؤلف حملة كبرى فيحشد الجند على طول الخط بين محطة قنوات وحوران فارتأت القيادة العامة للوطنيين أن تولى وجهها نحو هذا الجند لذا اجتمعوا في قرية عرى للتشاور[34].

- معركة المسيفرة 17 أيلول 1925

سبق معركة المسيفرة تجهيز حملة كبيرة معظمها من الأرمن والشركس، واجتمعت قوة من المسيفرة وكانت تتوارد من محطة غزاله ودرعا، وبدأت بترتيب أوضاعها وحفرت الخنادق وانشأت المتاريس والاحتياط بالأسلاك الشائكة، وتم تزويدها بالذخائر والمؤن[35]، بالمقابل لم يكن الثوار غافلون عن ما كان يقوم به الفرنسيون من خطط وبرامج للقضاء على الثورة، بل كانوا على اتصال مباشر مع رجال أعدوا خصيصًا لاطلاعهم ما خفي على الكثير من الناس، فعقدوا اجتماعا في قرية عرى لوضع خطة للتصدي لهذه الحملة[36]، فاقترح محمد عز الدين الحلبي أن يباغت الحملة الفرنسية أبان زحفها من أهم نقطة يصل إليها وليس من نقطة احكم من قرية المسيفرة لإنقاذ ما بيت القوم عليه، وتم اعداد ما يقارب 500 رجل من بني معروف لصدّ الحملة التي بلغ عددها قرابة الألفين جندي[37]، وتم الاتفاق على مهاجمة الحملة في المسيفرة ليلًا، وفعلًا تقدم الثوار وكانوا يوصون بعضهم البعض بالهدوء التام وعدم اثارة أية حركة توقظ حرس العدو، لكن استيقظ العدو قبل وصول الثوار بخمس دقائق فأخذوا بإطلاق الأسهم النارية وهنا انطلقت المعركة وصمدوا الأبطال في المعركة وقتلوا الكثير من الفرنسيين مما أجبرهم على الانسحاب واللجوء إلى ما كانوا أقاموا من معاقل وحصون داخل القرية[38]، وأحاطوا بها من كل نواحيها لما كان يرد عليهم من النجدات والإمدادات، واتخذوا الفرنسيين من الخنادق ملجأ، ومع شروق الشمس انشغل الثوار في جمع الغنائم من السلاح والذخيرة، حلقت الطائرات الفرنسية في سماء الواقعة، فرأت الثوار مشغولين في جمع الغنائم فأمطرتهم بالقنابل شتت فيه شملهم، فاضطر محاصرو القرية على

الانسحاب كذلك انسحب الوطنيون وتحصنوا في بيوتهم[39].

ويذكر هلال بك عز الدين الحلبي في مذكراته أن جبل الدروز يفرغ بكامله على المسيفرة، وكان سلطان باشا الاطرش في قرية أم ولد وبرفقته قسم من الدروز والبعض حول قرية المسيفرة وهب أهالي الجبل لنجدة من هم محاصرين في قرية المسيفرة وكانت الجموع تترادف من كل الجهات[40]، وأمروا الدروز بالخروج من المسيفرة عند جنوح الليل حيث لم يسدل الظلام أجنحته حتى أن طلائع الدروز القادمة بأرض المسيفرة ولم يقتربوا من القرية حتى تصادموا مع الخارجين منها من المحاصرين شرقًا من البلد بمسافة قليلة فكانوا يساعدونهم ويهنونهم بالسلامة[41].

- الحملة على السويداء 23 أيلول 1925

اغتنم الجنرال غاملان الفرصة بتضعضع معنويات الدروز بمناسبة معركة المسيفرة[42]، فحشد قوة كبرى ليدخل فيها إلى السويداء وتحرير الموظفين الفرنسيين وعائلاتهم الذين كانوا محاصرين في قلعتها، فأفسح له المجال قادة الثورة لأنهم رأوا صعوبة الوقوف في وجهها لتفوقه، فدخلها وأنقذ المحاصرين، وكان غاملان قد اتخذ من قرية المسيفرة مركزًا وقاعدة لأعماله العسكرية، وتقدم في يوم 2 تشرين الأول 1925، ومعه قوة تتألف من بضع آلاف من الجند، تعززها 18 دبابة وطائرات ومدفعية قوية باتجاه قرية عرى[43]، وتقدم من دون مقاومة حتى قرب قرية المجيمر، بينما كان قلب الجيش يزحف نحو تل الجيش بين قرية عرى وقرية المجيمر ونحو عرى نفسها، وكانت قيادة الثورة قد قررت أن تمكنه من التوغل في الانفراج الكائن بين عرى والمجيمر لتهاجمه في الوعر والهضاب التي تقع في شرقيها، وتم تنفيذ الخطة بشكل محكم، وفي اليوم 3 تشرين الأول حدث الصدام بين القوتين بعد تمهيد عنيف بالمدافع واستهدفت الطائرات الفرنسية على أماكن تواجد الثوار[44]، وواجهت الحملة الفرنسية مقاومة عند محاولة الدخول إلى قرية المجيمر واتجهت إلى تل الجبس فاستولت عليه، كما دخلت قرية عرى، وحمى الأبطال نبع الماء الذي يسيل إليها، ويبعد عنها 4 كيلومتر وشاغل الثوار الحملة في يوم 4 تشرين الأول وأطلقوا النار على معسكرهم في شمالي عرى وغربها ومن المجيمر والوعر الغربية، وتوجت الحملة لاحتلال نبع الماء في أم صاد، فصدهم الأبطال وردهم وهاجم الثوار ساقة[45] الحملة، وتم إرسال قوة بقيادة نسيب الأطرش لتحرير عرى ولتهديد خط رجعة الحملة، وقتل قائد الحملة وغنموا العتاد والسلاح[46].

وفي يوم 5 تشرين الأول تقدمت مجموعة من الخيالة بلغ عددها 500 إلى كناكر لورود الماء، وكانوا في شديد الحاجة إليها فقاومها الأبطال ونتيجة لهذه المقاومة والخسائر الفادحة التي تكبدها الفرنسيون[47]، فكر الجنرال غاملان في الوضعية وقرر اختيار الانسحاب لأسباب عديدة أولها أن الجيش سيكون تحت

الحصار ومن الصعب عليه تأمين وصول الذخائر إلا بواسطة حملة، وكان يشعر بان الروح الوطنية أصبحت تزخر في أبناء البلاد السورية[48]، وقرر العودة إلى حوران وبدأ تراجعه في يوم 8 تشرين الأول وكانت تحميه الطائرات والدبابات، ونصب الثوار كمائن له في قرية كناكر وقتل العديد من جنود الحملة ووقع الذعر في نفوس الجنود الفرنسيين، وتراجعت الحملة إلى ازرع ورابط الثوار على الطريق لينتهي مصير الحملة إلى قرية الثعلة وفي يوم 9 تشرين الأول اتجه شمالًا فبلغ ماء المزرعة بكل سهولة، ومن بعدها إلى قرية المسيفرة وبعدها إلى درعا ليستقر في طفس[49].

- الثورة تمتد إلى حماه بتاريخ 4 تشرين الأول 1925

بلغت الثورة العربية الكبرى بقيادة فوزي القاوقجي إلى مدينة حماه، الذي أوقع في صفوف الفرنسيين خسائر كبيرة، فردوا بقصف المدينة بالقنابل واعتقال الكثيرين. ومع أن ثورة حماه لم تستمر لفترة طويلة إلا أنها هددت سيطرة الفرنسيين بسرعة انتشارها إلى أقاليم حمص وحماه وطرابلس وأجبرتهم على سحب جزء من قواتهم من منطقة جبل الدروز مما خفف الضغط على الثوار[50]. وتعاظم الشعور الوطني في مدينة حماه في أوساط الفئة المثقفة المناهضة للانتداب الفرنسي، كما برز تيار مناهضة للإقطاعية وكبار الملاك في مدينة حماه وريفها، وقام فوزي القاوقجي بنشاط سري ملحوظ من أجل التحضير للثورة في مدينة حماه، وبتاريخ 4 تشرين الأول احتلت جموع الأبطال مخافر الشرطة من دون إراقة دماء، ثم توجهت إلى دار الحكومة حيث نشبت معركة مع سرية فرنسية كانت تحرس الدار اضطرت للانسحاب، وقام الثوار باقتحام السجن وإخراج السجناء الذي بلغ عددهم ما يزيد عن 500 سجين[51]، وفي اليوم التالي فشلت فرنسا من الدخول إلى حماه إلا أن النجدة التي وصلت من حلب وحمص مكنت الفرنسيين بعد معارك في الشوارع من احتلال مدينة حماه وانسحاب الثوار منها، وهذا ما أجبر فرنسا من الانسحاب من جبل العرب وتوجيه القوات إلى حماه، وهذا ما أعطى ثوار الجبل إعادة ترتيب صفوفهم وتوسيع هجماتهم إلى خارج الجبل في مناطق الغوطة والقلمون[52].

وبعد أن دخل الجيش الفرنسي إلى حماه أباحت السلطات الفرنسية لجنودها بالسرقة والقتل، فكانوا إذا تخيل لهم أحد في نافذة بيته أو في طريق أردوه قتيلًا، وتم القبض على الكثير من الناس الأبرياء، فكل من يجدونه خارج منزله يسوقونه إلى السجن، ويوسعونه ضربًا، وعملت السلطات الفرنسية على قتل وتخويف الأطفال والنساء والشيوخ بإلقاء القنابل وإطلاق المدافع التي كانت تقصف حماه بدون إنذار للسكان[53].

- الثورة تمتد وتتوسع إلى غوطة دمشق

خرج من دمشق إلى الغوطة فئة أخذتها دافع الغيرة الوطنية من أشاوس الرجال منهم أبو عبدو ديب الشيخ وأبو صلاح العرجه وأبو عبدو سكر والشيخ نديم، والتحق بهم

حسن الخرط وألفوا عصابة قوية كان يقدم لها المؤن والذخائر من الشام والقرى المجاورة[54].

كذلك انضم سعيد العاص وفؤاد سليم وإبراهيم صدقي وجميل البيك وآل البكري وفي مقدمتهم نسيب البكري وغيرهم من الأبطال، وتم تكليف قوة من الدرك السوري بقيادة رفيق العظمة، للتصدي لهذه العصابة وفعلًا تم الاشتباك معها وجرت معركة عرفت باسم معركة الزور الأولى انتهت باندحار الدرك تاركين قتلاهم، بعدما أسر الأبطال ضابطهم وغنموا 29 حصانًا وأسلحة وذخائر، ودارت المعركة الثانية بالقرب من قرية الملحية والتي انتهت بانسحاب الجيش الفرنسي إلى دمشق، واتسع نطاق العمليات العسكرية إلى أن وصل أبواب دمشق، وهذا ما دفع فرنسا إلى نقل جانب كبير من قواهم، إلى هذا الميدان كما أقاموا الأبراج والأسوار لحمايتها من ضربات الأبطال وتتابعت المعارك وكثر اللقاء بين الثوار والفرنسيين، وحرق الفرنسيون قرى عدة أبرزها جرمانا والمحلية وزبدين وداريا ودير مجدل، فلجأ الشيوخ والنساء والأطفال من سكانها إلى العاصمة دمشق. وفي تاريخ 18 تشرين الأول 1925، وصل الجنرال سرايل إلى دمشق وأطلق عليه السوريون اسم المجنون، ووصل خبر وصوله إلى الأبطال فاعتزموا أن يحاولوا اعتقاله وهو حي بأي وسيلة، حيث دخلت عصابة حسن القبعة حي الشاغور، وتسلل رجالها إلى البزورية لاعتقاله، فاشتبكوا مع القوة التي كانت ترافقه، فاستشهد حسن القبعة[55].

- ضرب العاصمة دمشق 18 تشرين الأول 1925

اختلط الأمر على الجنرال سرايل المفوض السامي ولم يعد يفهم حقيقة الوضع، وبعد استشارة الضباط الفرنسيين أقروا جميعهم ضرب دمشق في المدافع الضخمة والطائرات[56].

انتقلت المعركة إلى داخل قلب العروبة النابض (دمشق) واستعد الثوار وبلغ عددهم 400 مجاهد، ربعهم من أبناء الجبل، والباقون من أبناء دمشق والغوطة وكانوا بقيادة نسيب البكري الذي تولى إدارة المعركة وكان يرابط في حي الميدان وانضم أبناء الشاغور والميدان وباب السريجة وتقدموا حتى باب الجابية وسط المدينة وهدموا دار الحكومة والقلعة وبقية الأحياء الشمالية، فهرب الفرنسيون إلى الصالحية وأقاموا المتاريس والأسلاك الشائكة والدبابات وحشدوا كثيرًا من الجند، واستسلمت قوة من الدرك للثوار وبهذه الأثناء تم قصف دمشق بالمدفعية والقنابل وخصوصًا على الأحياء الجنوبية والوسطى من دمشق، وتم تدمير المنازل وقتل المئات وشرد الألف وحدثت كارثة لم تعرفها دمشق من قبل[57]، واستمر القصف من يوم الأحد 18 تشرين الأول حتى مساء يوم الثلاثاء 20 منه، ولم يعرف بالدقة والضبط عدد الذين قضوا تحت الأنقاض، في حين أن الخسائر المادية قدرت بثلاثة ملايين جنيه، واستشهد القليل من الثوار، أما الجنود الفرنسيون فقد كانت كثيرة، وفي يوم الاثنين 19 منه حلقت طائرتان فرنسيتان وأخذتا

بإطلاق النار على المنازل والمآوي الأهلية بالسكان الآمنين كما تتابع قذف قنابل بالمدافع من قلعة المزة[58].

- معركة يلدة وببيلا

بتاريخ 29 تشرين الثاني 1925، حدثت معركة تسمى معركة يلدة وببيلا وكانت خطة الثوار الدفاع العام أمام هجمات الفرنسيين من جهة وإرسال قوة لتطويقه من جهة ثانية.

وحدثت الاشتباكات بين الفريقين ونتج عنها أن غنم الثوار أحد عشر رشاشا وعتادا وذخائر وسقط قتلى من الفرنسيين نحو مائة جندي والكثير من الجرحى، بينما استشهد وجرح من الثوار 18 وبقيت الطائرات تقصف حتى حل الظلام[59].

- معركة حمورة

في يوم 17 كانون الأول 1925، جرت معركة حمورة وكان من حملة لواء هذه المعركة كل من نزيه المؤيد وسعيد العاص وأبو عبده سكر ومحمود أبو يحيى ومنير الريس وكانت المواجهة في هذه المعركة وجهًا لوجه في داخل قرية حمورة واعتدى الجيش الفرنسي على الأعراض وقتل الفلاحين العزل من السلاح وإحراق وهدم البيوت على رأس أصحابها وبلغ عدد الذين استشهدوا من الأبرياء نساء ورجالا اثنين وعشرين عدا الأطفال، ولا بد من ذكر حادثة اغتيال حسن الخراط من قبل الشركس في قرية يلده بتاريخ 21 كانون الأول 1925، وقتل الكولونيل فرن في وقعة الشعبة المهيبة وقد أخفى الفرنسيون قتله سبعة أشهر[60].

- معركة النبك

في يومي 14 – 15 آذار 1926، حصلت هذه معركة وكانت قد جرت عدة معارك في النبك قبل انطلاقتها ومنها عصابة جبل قلمون وعصابة النبك وعصابة عكاشة، وفيما يخص معركة النبك فقد اتخذ كل من سعيد بك العاص وفوزي بك القاوقجي النبك مركزًا للثورة في جبل قلمون بعدما خمدت فيه النار من جراء الفوضى والمعاملات الشاذة التي عومل بها، وتم تجهيز حملة بقيادة الجنرال مارتي المعروف بالحروب الجبلية وبلغ عدد الحملة 4000 جندي من المشاة و1000 جندي من الفرسان و8 مدافع ومثلها مصفحات واعتاد أخرى كاملة منها سبعون رشاشًا، ويقول عبد الرحمن الشهبندر في مذكراته: "كتب إليّ فوزي بك يقول: أما نحن فلم نجد متسعًا من الوقت لإتمام ترتيباتنا بيد أننا تمكنا من جمع ثمانمائة مقاتل من أنحاء القلمون وقررنا أن ندافع عن النبك أولا في جهات قارة شمالا ثم في النبك نفسها وذلك لاستكشاف قوته ولضربه في مضيق عيون العلق ضربة مادية تؤثر في معنوياته ولا توصله إلى النبك إلا منهوك القوى[61]"، وفي 11 آذار 1926، دخل الثوار المشاة إلى قارة والفرسان إلى دير عطيه لإحاطة جناح العدو الأيسر، وباليوم التالي أعدوا له العدة في مضيق عيون العلق ونشبت المعركة وصمد الثوار أما المصفحات التي كانت تقذف حممها مثل البراكين والمدافع التي كانت تفتت الصخور وتحصد الأرض وانسحب الأبطال بأمر من فوزي بك وسعيد

بك إلى النبك حيث واجهوا الجيش الفرنسي وابتدأت المعركة في 14 آذار واستمرت إلى وقت العصر تمكن الفرنسيون من احتلال المستشفى الهولندي غرب البلد وبعدها عاد الثوار واستردوه بعد أن اخترقوا صفوف الفرنسيين وغنموا الكثير من الخيل والسلاح والعتاد والذخائر، ومع استمرار القتال بين الطرفين افقد الثوار السلاح الذي غنموه وهذا ما أجبرهم على الانسحاب، مع العلم أن جزءًا من الثوار بقي في المناطق المحيطة بالبلدة حتى 15 آذار لكن الوضع تطلب أن ينسحب ليعود الجيش الفرنسي لاحتلال النبك، وتعتبر هذه المعركة من أكبر معارك القلمون، واستشهد من الثوار في عيون العلق 18 رجلا أبرزهم البطل فؤاد رسلان من أبناء حمص والملازم إبراهيم صدقي أفندي من أبناء دمشق، في حين كانت خسارة الفرنسيين في اليوم الأول ثلاثة أرباع مدفعيته وفي اليوم الثاني زهاء أربعمائة قتيل[62]، وظهرت عدة شخصيات وطنية في هذه المعركة[63].

- الثورة تمتد إلى إقليم البلان ووادي التيم في تشرين الأول 1925

في الوقت الذي كانت الثورة مشتعلة في دمشق وغوطتها، استجاب الكثير من أبناء لبنان الوطنيين لإشعال نار الثورة، وتشكلت حكومة عربية في حاصبيا بقيادة نسيب غبريل، كذلك امتدت الثورة إلى مناطق البقاع اللبناني وتم تشكيل عدة مجموعات لمواجهة الفرنسيين[64]. كذلك امتدت الثورة السورية الكبرى إلى مناطق عكار والضنية وشارفت مدينة طرابلس اللبنانية[65]. كان أول من هب للثورة في وجه الفرنسيين هم دروز إقليم البلان ووادي التيم[66]، واشتركوا في معارك الجبل الأولى مما أغضب فرنسا فوزعت السلاح والذخائر على المسيحيين، من سكان الإقليم وأغرتهم بقتالهم تريد أن تصبغ الثورة بصبغة دينية وطائفية مع العلم أن الثورة بريئة منها، وبعد أن تم جلاء الفرنسيين عن الجبل في شهر أيلول 1925، قررت قيادة الثورة أن ترسل حملة إلى إقليم البلان ووادي التيم، لتخليص سكان المنطقة من الاضطهاد ولتوسيع الثورة أكثر فأكثر، وكانت الحملة بقيادة زيد الأطرش وهو شقيق سلطان باشا[67]، وانضم إليها كبار رجال الثورة[68].

وصلت الحملة إقليم البلان في أواخر شهر تشرين الأول 1925، اتخذت من قرية مجدل شمس قاعدة أساسية لها وهي قرية درزية كبيرة وكانت مهمتها قاصرة على منع عدوان الفرنسيين واستمالة الشراكسة، وفي 11 تشرين الثاني توجهت الحملة إلى وادي التيم، ودخلت حاصبيا بدون مقاومة وانسحب الفرنسيون منها، وجرت معركة الجديدة في 15 تشرين الثاني بين الثوار والفرنسيين وانتصر الثوار فيها وتراجع الفرنسيون منهزمين فلحق بهم الثوار حتى جسر الخردلة، وتوقف الثوار عنده بعد ما نسفوه، لأنه أول حدود لبنان القديم، وكان الثوار قد اتفقوا أن يقفوا عنده، والجدير بالذكر أن أهالي العرقوب وهم مسيحيون اشتركوا في معركة الجديدة، وقاتلوا إلى جانب الثوار[69]، كذلك اشترك في المعركة مع الثوار عرب الأمير محمود الفاعور[70].

- احتلال بلدة راشيا وإحراق قلعتها

كانت قد وصلت قوات الثوار إلى راشيا في 20 تشرين الثاني 1925، تحت قيادة حمزة الدرويش، وكان الفرنسيون قد حصنوا قلعة راشيا وحشدوا فيها قوة كبيرة لمواجهة الثوار، ووصل وفد من أبناء راشيا إلى القائد حمزة الدرويش راجيًا العدول عن احتلال بلدتهم خوفًا عليها من التدمير، لان الفرنسيين يصرون على المقاومة، وأجابهم انه يحمل أمرًا من القيادة باحتلالها، وعليه أن ينفذ هذا الأمر، وتتألف قواته من ألف رجل بينما كانت القوة المتواجدة داخل القلعة تتألف من 530 جنديًا فرنسيًا ومعهم 150 مارونيًا مجندين في صفوف الجيش الفرنسي وأيضًا 70 رجلا مسيحيًا من أهل بلدة راشيا، وفي يوم الأحد 22 تشرين الثاني هاجم الثوار القلعة من ثلاث جهات فأصلتهم الحامية نارًا حامية وكثر عدد الشهداء وانقسم الثوار إلى ثلاث فرق وهي:

1- فرقة تحمل السلالم الخشبية للبلوغ إلى سطح القلعة.

2- فرقة تحمل القنابل اليدوية مع لحف مغموسة بالكاز لإضرام الحرائق.

3 - وفرقة تحمل البنادق.

واستمرت المعركة لمدة أربع ساعات والتي انتهت بثبات القلعة واستشهد من الثوار ما يقارب 200 مجاهد، وفي اليوم الاثنين 23 تشرين الثاني تجددت المعركة واستطاع الثوار الدخول للقلعة من الجهة الجنوبية، ووصلت مساعدات للقوات الفرنسية في يوم الثلاثاء 24 منه وكانت تتضمن المدافع القوية وأخذت تضرب القلعة وأجبر الثوار على الانسحاب إلى حاصبيا وسيطرت القوات الفرنسية على راشيا وتعتبر معركة راشيا من أهم وأعظم المعارك[71].

- العودة إلى جبل الدروز

- التدابير التي اتخذها جبل الدروز

لا بدّ من الإشارة إلى أن الفرنسيين اتخذوا ثلاثة قواعد عسكرية كبيرة في المناطق المقابلة والقريبة للجبل، واتخذوها مراكز للزحف عليه عندما يؤون أوانه، وتدق ساعته والقواعد كانت في المسيفرة وإزرع وبصرى إسكي شام، وضع الثوار سلسلة لمواجهة الموقف الجديد وهي[72]:

- تم الاتفاق بينهم على أن تقدم كل قرية ربع المحاربين من أبنائها بالمناوبة للاستمرار في الحرب.
- أن تشكل لجنة لإدارة جبل الدروز.
- إرسال كتاب إلى الكومندان كوستلير قائد مواقع درعا، يتضمن مطلب الثورة المعروفة قبل الدخول في المعارك العتيدة، وقالوا إن قبول هذه المطالب يمنح البلاد السلم، وطلبوا من الكومندان إرسال كتابهم إلى المندوب.
- تذهب لجنة تتألف من كل بيت معروف في الجبل إلى قرية دبين فتحرق بيت فارس الأطرش، وإلى قرية المجمير فتحرق بيت عبده الأطرش، لأنهما خانا العشيرة والوطن وخرجا على الدروز في نضالهم، وان يشمل هذا التدبير بيوت نجيب عامر وتركي عامر وعبد الكريم نصر، لأنهم انضموا إلى القوات الفرنسية.

- أن يرسل جواب إلـى دي جوفنيل ردًا على الدعوة للسلام التي وجهها إلـى الشعب، يقولون فيه إنـهم يطلبون الجلاء عـن سورية بعد افتتاح المجلس التأسيسي بشهريـن، ورد عليهم انه لا سلم ولا مفاوضة إلا بعد أن يخضع الثوار ويلقوا سلاحهم.

- احتلال اللجاة واتخاذها قاعدة لمنازلتهم الحربية، وفعلًا تم إرسال مجموعة من الثوار إلى قرية دامة في يوم 16 شباط 1926، واستولوا بلا مقاومة على قرية مجدل الشمس، والقرى الأخرى المجاورة وبسطوا نفوذهم على منطقة اللجاة.

- مرحلة التراجع والانهيار 1926 – 1927

بتاريخ 13 آذار 1926 زار الجنرال غاملان السويداء، وأمر الجنرال أندريا بمتابعة زحفه نحو شهبا فسار إليها في 15 آذار وتم احتلالها بعد مواجهات مع الثوار[73].

- القوات الفرنسية تزحف نحو جبل الدروز 22 نيسان 1926

قصفت الطائرات الفرنسية قرى الجبل الكبرى ومنها أم الرمان والسويداء وصلخد وعرى، كذلك قصفت المدافع الضخمة المنصوبة في حوران حممًا من قنابلها، وكان يقود الحملة الجنرال أندريا، وعمد إلى تقسيم الحملة إلى قسمين: قسم توجه من إزرع في يوم 22 نيسان 1926، ووصل إلى قرية الغازية ودخلها بدون حادث، وقسم آخر توجه من المسيفرة في 23 نيسان إلى قرية أم ولد كذلك دخلها بدون أي مشاكل، وفقًا لخطة تم وضعها من قبل قيادة الثورة بعدم الاشتباك في معركة معهم في هذه المرحلة، ووصلت إلى الغازية وأمضت الليل فيها وتقدمت في 24 نيسان فاحتلت تل الحديد وبقيت الليل فيها وتم احتلال قرية عرى في يوم 25 نيسان، وبعدها تقدمت القوتان مجتمعتين إلى السويداء، وكان الثوار جاهزون لهم حيث نشبت معركة السويداء في 25 نيسان وقامت الطائرات والمدافع بقصف السويداء مما أجبر الثوار على الانسحاب من ناحية الشرق[74].

- احتلال قرية صلخد

مع بداية شهر حزيران 1926، توجه الجنرال أندريا لاحتلال صلخد فصادف مقاومة شديدة عند قرية أم الرمان، وفي الرابع من شهر حزيران تقدم الجنرال على قرية صلخد واحتلها[75].

- تعاون فرنسي إنكليزي للقضاء على المقاومة الأهلية في أيلول 1926

اتصل الفرنسيون بالانكليز واجتمعوا في درعا بتاريخ 23 أيلول 1926، واتفقوا على ما يلي[76]:

- منع الرجال القادرين على حمل السلاح من البقاء في منطقة الأزرق بالأردن.
- يخير الدروز الملتجئين لشرق الأردن بين نقلهم إلى معسكرات تجميع في فلسطين أو إعادتهم إلى الجبل.
- تحديد إقامة الشيخ إسماعيل الحريري من حوران بقرية السلط الأردنية.
- يمنع كل من سلطان باشا الأطرش والدكتور عبد الرحمن الشهبندر من دخول الأراضي السورية والأردنية.

وبعدها نشط الفرنسيون واحتلوا مناطق عرمان والملاح وتكبدوا خسائر فادحة في الجنود والضباط

- معركة داعل في درعا 3 تشرين الأول 1926

دمر الثوار الوطنيون جسر عرار في حوران واعتقلوا درك مخفر عرار، وقد برز من الثوار الأبطال في هذه المعركة الشيخ مصطفى الخليلي ورجاله والشيخ محمد الاشمر ورفاقه وقاسم العنجراي وأبطاله ويونس الخشور وشقيقه احمد وأبو عمر خيتي ومجاهديه وخالد نجيب وجماعته وكل من الضباط صبحي العمري وصادق الداغستاني وحسين المدفعي، مر الأبطال من قرية داعل فتحرش الحراس الفرنسيون بهؤلاء الأبطال ورموهم بالرصاص، فتصدى لهم الثوار، وتكبد الفرنسيون الخسائر وانهزموا ولم يعد لهم أثر، وبعدها دخل الثوار قرية داعل عنوة وسيطروا عليها، ووصلت الأخبار للفرنسيين وأخذوا يضربون القرية بالطائرات والمدفعية وهذا ما أدى إلى نزوح أهالي القرية، وحلق سرب من الطائرات الفرنسية فوق القرية يبلغ عددها قرابة خمس عشرة طائرة ووالت تخريب كل ناحية من أنحاء هذه البلدة، وعلى اثر هذا التدمير والقصف تقدمت قوات من الدبابات والمصفحات نحو القرية من اتجاه الشرق والشمال وأخذت تقصف داعل وتصدى الثوار لهم بالرشاشات والبنادق وصمدوا زمنًا، "كان خلاله جنود المتطوعة من دروز وحورانة ومغاربة يطوقون البلدة فاستعر القتال وتشجع الرجال وسادت الأهوال وانبرى كل منهم يعلم خصمه كيف يكون النزال ومطاعنات الأبطال"[77]، وفي ظل القصف حاولت القوة الفرنسية تطويق الثوار لكنها لم تنجح. وفي ظل التعب والإرهاق الذي أصاب الثوار راح الكثير منهم يتغلغل في جهات غير معلومة، واستشهد البطل حسين المدفعي وجرح الشيخ قاسم العنجراوي واثنين من رجاله، وتجمع الثوار واعدوا الهجوم على القوات الفرنسية من الجهة الشرقية وهزموهم بعد انتصارهم واستطاع الأبطال أن يشقوا لهم طريق السلامة واجهتهم وعور اللجاه وظلوا يسيرون حتى بلغوا اللجاه[78].

- الفرنسيون يحتلون عدة قرى

كان قد حشد الفرنسيون بتاريخ 2 تشرين الأول 1926 حشودًا عظيمة منهم ومن المرتزقة، وفي يوم 21 تشرين الأول انطلقت هذه القوات بعد راحة قصيرة في السويداء مارة بشهبا واحتلت في 25 تشرين الأول قرية الصورة الصغيرة والرضيمة. وفي 26 تشرين الأول احتلت لاهثة وفقدت عددًا من جنودها فيهم ضابطان وهذه القرى تقع في اللجاه وهي أرض جبلية وعرة تقع شمال وشمال غرب جبل العرب، وفي 31 منه حاول الفرنسيون احتلال قرية صميد ولكنهم صدوا بعد أن تكبدوا خسائر فادحة وأسقطت لهم أربع طائرات[79].

- التحريض على الثورة بشكل علني في أواخر تشرين الثاني 1926

إن الدعوة للانضمام للثورة والتحريض عليها، لم يكن في أماكن سرية، ولا في ندوات خلوية، بل كان في قارعة الطريق،

وفي وضح النهار، وعلى ملأ من الناس والدليل على ذلك ما جاء في كتاب ظافر القاسمي "وثائق جديدة عن الثورة السورية الكبرى" يقول: انتحل رجل اسمه سليم بن محمد البدوي اسم مصطفى الخليلي، جاء في 26 تشرين الثاني 1926 إلى قرية الرزانية، وأخذ ينصح الناس بالانضمام إلى الثورة علنًا. وما من شك في أن هذا الرجل، كان يعلم، كما كان غيره يعلم، أن عيون فرنسا لم تكن نائمة، وان جواسيسها كانوا بالمرصاد، لكنه لم يبال عينًا ولا جاسوسًا، وإنما اندفع مع عاطفته الدينية والقومية، أو معهما معًا، وقام بالواجب الذي يدعوه إليه ضميره. ولعله كان يعلم سوء المصير...". وفعلًا تم اعتقاله وبعد التحقيق معه حكم عليه بالحبس لمدة 15 شهرًا وبغرامة قدرها خمسون ليرة عثمانية ذهبية، حكمًا صدر بدمشق في 18 حزيران 1927[80].

- معركة أبي زريق

بتاريخ 3 كانون الثاني 1927 نشبت معركة كبرى بين القوات الفرنسية والثوار في منطقة أبي زريق حول تل اللوز الواقع على بعد 12 كلم عن صلخد وتكبد الفرنسيون خسائر كبيرة وفادحة وبينهم ضابط واحد، وخسر الثوار الأبطال 35 شهيدًا[81].

- حملة كبيرة للقضاء على الثورة في شهر شباط 1927

بدأ الفرنسيون يمدون جيوشهم المؤلفة من الفرنسيين وجنود المستعمرات والمرتزقة المحليين للقضاء على الثورة، فخصصوا جيوشًا خمسة للهجوم على اللجاه كذلك تدعمها جيوش أخرى، وأعدت أسراب من الطائرات لتدمير كل المراكز التي يتواجد فيها الأبطال الثوار[82]، وفي يوم 29 آذار 1927 بدأت العمليات واستمرت حتى 11 نيسان 1927 بضراوة لم يعهد لها مثيل، والجدير بالذكر أن الانكليز قد أمروا من كان في الأردن من الثوار اللاجئين بالخروج منه وتعاون الانكليز مع الفرنسيين تعاونًا وثيقًا لإنهاء الثورة السورية الكبرى، وهذا شأن الاستعمار الماكر، فالمستعمرون قد يختلفون على الغنائم لكنهم متفقون في القضاء على الفريسة والثورة هي الفريسة، ولجأ القائد البطل سلطان باشا الأطرش ومعه ما يقارب 1360 ثائرًا إلى وادي السرحان في الحجاز حيث عاشوا تحت الخيام ولكن نفوسهم الأبية العزيزة لم ينلها الوهن ولا الخور، حتى صدر العفو العام فغادروا إلى الجبل[83].

- توقف المقاومة ونتائجها

كان لنشوب الثورة نتائج انعكست على علاقة سورية مع المحتلين الفرنسيين واضطرتهم إلى إعادة النظر في سياستهم المتوحشة اتجاه الشعب السوري، وتقديم بعض الحلول التي تخفف من حدة الغليان الشعبي ولا تتعارض مع مصالح فرنسة الاستعمارية، وقد دفعت عوامل كثيرة فرنسة نحو نظام برلماني والارتباط بمعاهدة مع سورية، والثورة السورية الكبرى كونت غطاء قويًا على السياسة الفرنسية، والرفض الشعبي لفكرة الانتداب، وإخفاق فرنسة بالإتيان بحكومة يرضى عنها الشعب السوري، وشعور السياسيين الفرنسيين أن وجود هيئة نيابية منتخبة يسهل على فرنسة

مهمة التعامل مع جهة واحدة، كما أن وضع الانتداب في صورة معاهدة يوفر لفرنسة ما لم تستطع تأمينه بالقوة والبطش، كذلك تعرضت فرنسة لضغوط من عصبة الأمم نتيجة سياستها الهمجية اتجاه سورية، وان النضال المسلح والنضال السياسي لم يتح لفرنسة إمكانية استغلال سورية على النحو الذي فعلته في مناطق سيطرتها الأخرى[84].

ومن نتائج الثورة أنها قد ردت الترابط الثوري بين أهالي سورية، وخسرت سورية في هذه الثورة ما يقارب 1700 شهيد ما عدا الشهداء من الأطفال والنساء والشيوخ الذين قتلتهم الغارات الجوية والضربات المدفعية، بالمقابل فقد خسر الفرنسيون 2500 قتيل، وأهم من كل ذلك أن فرنسا أخذت تشعر بأنها لن تبقى طويلًا في سورية[85].

- **عوامل خارجية:** وفي مقدمتها قوة الامبريالية الفرنسية، التي خرجت من الحرب العالمية الأولى منتصرة بعد أن قضت على منافستها الامبريالية الألمانية وعقدت الصفقات الاستعمارية مع الامبريالية البريطانية من اجل تقسيم مناطق النفوذ في العالم وفي مقدمتها العالم العربي، والقوى التقدمية في فرنسا لم تكن أيضا من القوة إلى درجة تستطيع معها كبح جماح المستعمرين الفرنسيين، واقتصرت تأييد تلك القوى على مساعدة الوطنيين السوريين معنويًا ونشر أخبار نشاطاتهم في جريدة الاومانيته وإفساح المجال أمامهم لنشر أخبار الثورة وأهداف الحركة الوطنية السورية ومراميها.

- **العوامل الداخلية الموضوعية:** من العوامل التي ساعدت الفرنسيين للتصدي للثورة وعمودها الفقري الفلاحين، هي نقص الأسلحة والذخيرة وصعوبة تأمينها.

- تمويل الثورة وتموينها

اعتمدت الثورة على تمويل محلي وعربي كما يلي[86]:

- **الموارد الداخلية الطوعية:** كان الأشخاص القادرون على اقتناء السلاح وحمله، يبتاعونه بالتهريب والخفاء، ويدخرون بعض المال في حزام يربطونه على بطونهم وفيه بعض المال من الليرات الذهبية، في حين أن العاجزين فقد كانوا يلجؤون إلى القادرين على التمويل، وغير القادرين على حمل السلاح، لمرضهم، أو لشيخوختهم، وأبرزهم أحمد القضماني وتذكر الوثائق انه جهز أفرادًا، كان يعطي كل شخص منهم جوادا وبندقية وذخيرة وخمسين ليرة عثمانية ذهبية، ويذكر ظافر القاسمي، أن المجلس العدلي قال: ثبت في التحقيق والمحاكمة أن المتهمين قباقيبو، ومصطفى رجوب ومحمود أبو تركي قد اتهموا بتموين الثورة، بأن أعطوا إلى الثوار نقودًا، وقدموا إليهم سبعة خيول، حيث أن المجلس العدلي يملك عناصر كافية لتقدير عقلية الثوار ويعلم منذ إنشائه أن الثائرين إذا طالبوا بالمال، فأنهم لا ينتظرون إلا الطاعة تحت طائلة العقاب بالموت، وان كلامهم دومًا على أفواه بنادقهم، حكم المجلس عليهم بالبراءة وصدر الحكم في 29 تشرين الأول 1927[87].

- **الموارد الداخلية القسرية:** هم القادرون ويمتلكون المال وامتنعوا عن بذل المعونة، "فلم يكن بد من مؤيد لهم على الدفع، وكان المؤيد المألوف، هو أن يداهم الثوار بيته في الليل، وأن يحملوه معهم إلى الغوطة، ولا يعيدونه إلا بعد دفع المبلغ المفروض، وإلا فمن أين يجد الثائرون القوت على الأقل؟ يتابع القاسمي ويقول: لم تخل فترة الثورة من أناس تعاملوا مع الجيش الفرنسي، فرأى الثائرون أن العقوبة الطبيعة لهؤلاء، هي مصادرة المواد التي يحملونها إلى الأعداء من جهة، وفي توبيخهم من جهة ثانية، فكان ذلك مصدرًا من مصادر التموين، فقد جاء في الحكم الصادر في الأول من أيلول 1927 "قد وقع في 19 كانون الثاني 1927 أن أربعة من الجمالين كانوا ينقلون موادا غذائية من بصرى الشام الى صلخد، فهاجمتهم عصابات متعددة مسلحة، واستولت على القافلة، المؤلفة من خمس جمال وثلاثة حمير ومواد غذائية وبخوهم في الوقت نفسه على تموين الجيش الفرنسي وحيث أن التهمة لم تثبت على المتهمين"، وصدر الحكم بالبراءة في أول أيلول 1927.

- **الموارد العربية:** لقيت الثورة الدعم من المغتربين العرب في الأمريكيتين، وفيهم الدروز والمسيحيون والسنيون وغيرهم، كذلك من العراق فقد أسهم العراق بالمال بدون حساب، ومن الأردن وفلسطين على الرغم من أن بريطانية كانت هي الحاكم الفعلي فيهما، ومن السعودية وكذلك من مصر [88].

***

الهوامش

*** يُعدّ أطروحة دكتوراه في التاريخ - المعهد العالي للدكتوراه - الجامعة اللبنانية**

(1) يوسف الحكيم: سورية والعهد الفيصلي، ذكريات الحكيم 3، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ص19 - 20. أيضًا، أحمد قدري، مذكرات عن الثورة العربية، دون دار نشر، دمشق، 1956، ص64 - 65.

(2) خيرية قاسمية، الحكومة العربية في دمشق بين 1918 - 1920، دار المعارف بمصر ، ص53 - 54.

(3) Antoine Hokayem، et Marie Claude – Bittar, «L'emplre ottoman Les Arabes et Les Grandes puissances 1914 – 1920», collection L' Histoire par Les Documents، vol vl, les Editions universitaires Du Liban، Beirut، 1981, p. 52.

(4) أمين سعيد: الثورة العربية الكبرى، تاريخ مفصل جامع للقضية العربية في ربع قرن، النضال بين العرب والفرنسيين والانكليز، عدد المجلدات (3) مج 2، مكتبة مدبولي، ص27

(5) حسن الحكيم: الوثائق التاريخية المتعلقة بالقضية السورية في العهدين العربي والفيصلي والانتداب الفرنسي 1915 . 1946، دار صادر، بيروت، بدون طبعة، ص85 - 89. أيضًا، سعاد جروس: من الانتداب إلى الانقلاب سورية في زمن نجيب الريس، دار الريس، الطبعة الأولى، 2015، ص 43 - 44.

(6) عبد الله حنا: ملامح من تاريخ الفلاحين في الوطن العربي ونضالهم في القطر العربي السوري، أربع مجلدات، المجلد الثالث، دار البعث للطباعة والنشر والتوزيع، بدون تاريخ، ص414 - 415.

(7) لمعرفة المزيد عن معركة ميسلون، انظر، ساطع الحصري: يوم ميسلون، صفحات من تاريخ العرب الحديث، مكتبة الكشاف ومطبعتها، بيروت.

(8) وليد المعلم: سوريا 1918 - 1958 التحدي والمواجهة، الطبعة الأولى، مطبعة عكرمة، دمشق، 1985، ص11. أيضًا محمد هوّاش: تكوّن جمهورية "سورية والانتداب" منشورات السائح، طرابلس الطبعة الاولى، 2005، ص 134.

(9) جميل العلواني: نضال شعب وسجل خلود 1919 - 1946، مطبعة الآداب والعلوم، دمشق 1973، ط1، ص89.

(10) Colonne.b, Order de mouvement, kadmus, 21/6/1919. وثائق وزارة الخارجية الفرنسية المحفوظة في مكتبة الأسد بدمشق، المجلد رقم 15، ص22 - 24.

(11) محمد خالد عمر: الزعيم إبراهيم هنانو سيرة ومسيرة، سلسلة الدراسات(17)، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، 2010، ص51.

(12) o.e.t. A zone ouest, cabinet militaire, le sous-Int (ouest) â le Général commandant en chef, Beyrouth, 24/6/191919. وثائق وزارة الخارجية الفرنسية المحفوظة في مكتبة الأسد بدمشق، المجلد رقم 12، ص. 103 - 104.

(13) وليد المعلم: سوريا 1918 - 1958 التحدي والمواجهة، مرجع سابق، ص12.

(14) عبد الله حنا: ملامح من تاريخ الفلاحين في الوطن العربي ونضالهم في القطر العربي السوري، مرجع سابق، 433-452.

(15) عبد الله يوركي حلّاق: الثورات السورية الكبرى في ربع قرن 1918 - 1945، دار طلاس، ط1، 1990، ص187.

(16) فيلب خوري: سورية والانتداب الفرنسي 1920 - 1945، ترجمة مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، 1990، ص189.

(17) موسوعة السياسة والحرب في بلاد الشام، إبراهيم مصطفى المحمود، تقديم العماد علي حبيب، الجزء الأول، مطابع وزارة الثقافة الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2011، ص496.

(18) أمين سعيد: سيرتي ومذكراتي السياسية 1908 - 1967، المجلد الأول، تبويب وتوثيق وتحقيق عبد الكريم إبراهيم السمك، الطبعة الأولى 2004، بدون دار نشر، ص274 - 275.

(19) مذكرات الدكتور عبد الرحمن الشهبندر، الثورة السورية الوطنية، تحقيق وتقديم، محمد كامل الخطيب، الطبعة الثانية، 1993، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، ص13 - 14.

(20) ولد سلطان باشا الأطرش في 6 تموز 1891، في قصبة (القريا) ودرس وتعلم في بلدته، وتدرب على الفروسية وهو ابن خمس عشرة سنة، انخرط في سلك الخدمة العسكرية خلال الحكم العثماني، انظر. علي رضا: قصة الكفاح الوطني في سورية عسكريًا وسياسيًا حتى الجلاء 1918 - 1946، المطبعة الحديثة بحلب، 1979، ص217.

(21) ستفين هامسلي لونغريغ: تاريخ سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي، ترجمة بيار عقل، دار الحقيقة، بيروت، ص197. أيضًا ظافر القاسمي: وثائق جديدة عن الثورة السورية الكبرى دار الكتاب الجديد، ط1، بيروت 1965 ص 115.

(22) مذكرات الدكتور عبد الرحمن الشهبندر، الثورة السورية الوطنية، مصدر سابق، ص21 - 22.

(23) هلال بك عز الدين الحلبي 1925 - 1927، وثائق بخط اليد غير منشورة وهي عبارة عن مذكرات، ص36 - 37.

(24) مذكرات الدكتور عبد الرحمن الشهبندر، الثورة السورية الوطنية، مصدر سابق، ص25 - 26.

(25) جورج انطونيوس: يقظة العرب، تاريخ حركة العرب القومية، ترجمة ناصر الدين الأسد وإحسان عباس، دار العلم للملايين، بيروت 1978، ص501.

(26) مذكرات الدكتور عبد الرحمن الشهبندر، الثورة السورية الوطنية، مصدر سابق، ص30.

(27) علي سيف الدين القنطار: على هامش الثورة 1925 - 1927، وثائق بخط اليد غير منشورة وهي عبارة عن مذكرات تاريخية. محفوظة على مكروفلم في الجامعة الأميركية، "مكتبة يافث" بدون ترقيم.

(28) علي سيف الدين القنطار، على هامش الثورة 1925 - 1927، وثائق بخط اليد غير منشورة وهي عبارة عن مذكرات تاريخية. مصدر سابق، بدون رقم صفحة.

(29) علي سيف الدين القنطار، المصدر السابق، بدون رقم صفحة

(30) م. ن.

(31) م. ن.

(32) أمين سعيد، سيرتي ومذكراتي السياسية 1908 - 1967، مصدر سابق، ص282 - 283.

(33) أمين سعيد، سيرتي ومذكراتي السياسية 1908 - 1967، مصدر سابق، ص283.

(34) محي الدين السفرجلاني: تاريخ الثورة السورية، صفحات خالدة من روائع كفاح العرب في سبيل الحرية والاستقلال والوحدة هي للاستعمار الفرنسي صحائف سوداء، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، 1961، ص152 - 153. أيضًا مذكرات الدكتور عبد الرحمن الشهبندر، الثورة السورية الوطنية، مصدر سابق، ص34 - 35.

(35) هلال بك عز الدين الحلبي 1925 - 1927، وثائق بخط اليد غير منشورة وهي عبارة عن مذكرات، مصدر سابق، ص55.

(36) محي الدين السفرجلاني: تاريخ الثورة السورية، مصدر سابق، ص165 - 167.

(37) محي الدين السفرجلاني: تاريخ الثورة السورية، مصدر سابق، ص165 - 167.

(38) المصدر السابق، ص167.

(39) المصدر السابق، ص167.

(40) هلال بك عز الدين الحلبي 1925 - 1927، وثائق بخط اليد غير منشورة، مصدر سابق، ص63.

(41) المصدر السابق، ص63.

(42) المصدر السابق، ص66.

(43) أمين سعيد: سيرتي ومذكراتي السياسية 1908 - 1967، مصدر سابق، ص286.

(44) أمين سعيد: سيرتي ومذكراتي السياسية 1908 - 1967، مصدر سابق، ص288.

(45) المراد بهم هم الذين يتقدمون الحملة، وهم الدلائل.

(46) أمين سعيد: سيرتي ومذكراتي السياسية 1908 - 1967، مصدر سابق، ص288.

(47) المصدر السابق، ص289.

(48) هلال بك عز الدين الحلبي 1925 - 1927، وثائق بخط اليد غير منشورة، مصدر سابق، ص66.

(49) أمين سعيد: سيرتي ومذكراتي السياسية 1908 - 1967، مصدر سابق، ص289 - 290.

(50) موسوعة السياسة والحرب في بلاد الشام، إبراهيم مصطفى المحمود، مرجع سابق، ص497.

(51) عبد الله حنا: ملامح من تاريخ الفلاحين في الوطن العربي ونضالهم في القطر العربي السوري، مرجع سابق، 625
(52) المرجع نفسه، ص625.
(53) أمين سعيد: سيرتي ومذكراتي السياسية 1908 – 1967، مصدر سابق، ص296 – 297.
(54) هلال بك عز الدين الحلبي 1925 – 1927، وثائق بخط اليد غير منشورة، مصدر سابق، ص71.
(55) أمين سعيد: سيرتي ومذكراتي السياسية 1908 – 1967، مصدر سابق، ص298 – 299.
(56) هلال بك عز الدين الحلبي 1925 – 1927، وثائق بخط اليد غير منشورة، مصدر سابق، ص74.
(57) أمين سعيد: سيرتي ومذكراتي السياسية 1908 – 1967، مصدر سابق، ص299 – 300.
(58) محي الدين السفرجلاني: تاريخ الثورة السورية، مصدر سابق، ص223 – 225.
(59) مذكرات الدكتور عبد الرحمن الشهبندر، الثورة السورية الوطنية، مصدر سابق، ص64 – 66.
(60) مذكرات الدكتور عبد الرحمن الشهبندر، الثورة السورية الوطنية، مصدر سابق، ص66 – 69. أيضًا، مذكرات هلال بك عز الدين الحلبي 1925 – 1927، وثائق بخط اليد غير منشورة، مصدر سابق، ص80.
(61) المصدر السابق، ص70 – 71.
(62) مذكرات الدكتور عبد الرحمن الشهبندر، الثورة السورية الوطنية، مصدر سابق، ص72 – 74.
(63) من هؤلاء الشخصيات: سعيد بك العاصفوزي بك القاوقجي، احمد منلا الكردي، أبو مصطفى الحرستاني، أبو شريف شرف، القائمقام زكي الحلبي، الملازم خير الدين اللبابيدي الطيار، منير أفندي الريس، جميل العلواني وإخوانهم..
(64) سليمان تقي الدين: الجنوب اللبناني برعاية الاستقلال، صفحات من تاريخ جبل عامل. دار الفارابي، بيروت 1979، ص137.
(65) زاهية قدورة: تاريخ العرب الحديث، دار النهضة، بيروت 1975، بدون طبعة، ص263.
(66) يطلق اسم إقليم البلان ووادي التيم على المنطقة الممتدة غربي دمشق الجنوبي، وتشمل قضاء وادي العجم، وعاصمته قطنا وقضاء القنيطرة وسفوح جبل الشيخ الشرقية، ويتبعه ويشمل أيضًا قضائي حاصبيا وراشيا من لبنان، ومعظم سكان هذه المنطقة من الدروز ينزلون الجبال، أما سكان السهل فهم خليط من السنّة المسلمين سواء كانوا عربًا أم شراكسة مع قليل من النصارى.
(67) أمين سعيد: سيرتي ومذكراتي السياسية 1908 – 1967، مصدر سابق، ص304.
(68) الأمير حسن الأطرش وصياح الحمود الأطرش وفؤاد سليم ونزيه المؤيد وفضل الله الأطرش وأسد الأطرش وعلي عامر وشكيب وهاب وحمزة الدرويش وغيرهم.
(69) أمين سعيد: سيرتي ومذكراتي السياسية 1908 – 1967، مصدر سابق، ص307. أيضًا، علي سيف الدين القنطار، على هامش الثورة 1925 – 1927، وثائق بخط اليد غير منشورة، مصدر سابق، بدون رقم صفحة.
(70) مذكرات الدكتور عبد الرحمن الشهبندر، الثورة السورية الوطنية، مصدر سابق، ص 80.
(71) نجاة قصاب حسن: صانعو الجلاء في سورية، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، الطبعة الأولى، 1999، بيروت، ص387، أيضًا، أمين سعيد، سيرتي ومذكراتي السياسية 1908 – 1967، مصدر سابق، ص308. أيضًا، علي سيف الدين القنطار، على هامش الثورة 1925 – 1927، وثائق بخط اليد غير منشورة، مصدر سابق، بدون رقم صفحة.
(72) أمين سعيد: سيرتي ومذكراتي السياسية 1908 – 1967، مصدر سابق، ص244 – 345.
(73) علي رضا: قصة الكفاح الوطني في سورية عسكريًا وسياسيًا حتى الجلاء 1918–1946، مرجع سابق، ص229
(74) أمين سعيد: سيرتي ومذكراتي السياسية 1908– 1967، مصدر سابق، ص347، ايضًا هلال بك عز الدين الحلبي 1925– 1927، وثائق بخط اليد غير منشورة، مصدر سابق، ص125.
(75) علي رضا: قصة الكفاح الوطني في سورية عسكريًا وسياسيًا حتى الجلاء 1918–1946، مرجع سابق، ص229.
(76) المصدر السابق، ص230.
(77) محي الدين السفرجلاني: تاريخ الثورة السورية، مصدر سابق، ص468 – 469.
(78) المصدر السابق، ص468 – 469.
(79) علي رضا: قصة الكفاح الوطني في سورية عسكريًا وسياسيًا حتى الجلاء 1918– 1946، مرجع سابق، ص230 – 231.
(80) ظافر القاسمي: وثائق جديدة عن الثورة السورية الكبرى، مصدر سابق، ص285 – 286.
(81) علي رضا: قصة الكفاح الوطني في سورية عسكريًا وسياسيًا حتى الجلاء 1918–1946، مرجع سابق، ص231.
(82) المرجع السابق، ص231.
(83) علي رضا: قصة الكفاح الوطني في سورية عسكريًا وسياسيًا حتى الجلاء 1918–1946، مرجع سابق، ص231.
(84) هيئة الموسوعة العربية، الموسوعة العربية، المجلد رقم 4، الطبعة الأولى، دمشق، 2003، ص335 – 337.
(85) علي رضا: قصة الكفاح الوطني في سورية عسكريًا وسياسيًا حتى الجلاء 1918–1946، مرجع سابق، ص232.
(86) ظافر القاسمي: وثائق جديدة عن الثورة السورية الكبرى، مصدر سابق، ص315 – 316 – 317.
(87) ظافر القاسمي: وثائق جديدة عن الثورة السورية الكبرى، مصدر سابق، ص 318 – 322.
(88) المصدر السابق، ص 321 – 322.

***